Crimean War 1854 AD (motives - events - repercussions)

Dr. Aladdin Jabbour*

(Received 2 / 1 / 2023. Accepted 1 / 2 / 2023)

□ ABSTRACT □

The Research Talks About The War That Broke Out Between Tsarist Russia And The Ottoman Empire In The Year 1854 AD On The Border Areas Between Them, Which Reached Its Climax In The Crimea, And Many European Countries, Including France, Britain And Austria, Intervened In This War, As A Result Of The Multiple Interests Of All These Parties, Including Those The War, Each According To Its Political And Economic Requirements, And All Those European Countries Stood By The Ottomans For Fear Of The Expansion Of The Russian Power And In Order To Preserve The Ottoman Empire In Its Weak Position At The Time, In Line With Ottoman Interests, And That War Went Through Several Stages, Starting With The Russian Occupation Of Some Regions In The Balkans, Including Wallachia And Baghdan, And Ended With The Defeat Of The Russians After The European Armies Joined Forces Against Russia And Destroyed The Russian Military Port On The Black Sea, Sebastpol.

Keywords: Crimea - The Ottoman Empire - War - Russia - Armies - The Black Sea - European Power - The Balkans.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor - Department of History, majoring in Modern and Contemporary History - Faculty of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Syria**

حرب القرم 1854م (دوافعها- أحداثها- تداعياتها)

د. علاء الدين جبور*

(تاريخ الإيداع 2 / 1 / 2023. قبل للنشر في 1 / 2 / 2023)

□ ملخّص □

يتكلم البحث عن الحرب التي نشبت بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية سنة 1854م على المناطق الحدودية بينهما، والتي بلغت أوجها في شبه جزيرة القرم، وتدخلت في هذه الحرب العديد من الدول الأوربية بما فيها، فرنسا وبريطانيا والنمسا، وذلك نتيجة مصالح متعددة لجميع هذه الأطراف من تلك الحرب، كلاً وفق مقتضياته السياسة والاقتصادية، ووقفت جميع تلك الدول الأوربية إلى جانب العثمانيين خشية من تضخم القوة الروسية وحفاظاً على الدولة العثمانية بوضعها الضعيف آنذاك تماشياً مع المصالح العثمانية، ومرت تلك الحرب بمراحل متعددة ابتدأت بالاحتلال الروسي لبعض المناطق في البلقان بما فيها الأفلاق والبغدان وانتهت بهزيمة الروس بعد أن تظافرت الجيوش الأوربية ضدَّ روسيا ودمرت الميناء الحربي الروسي على البحر الأسود سباستبول.

الكلمات المفتاحية: القرم- الدولة العثمانية- الحرب- روسيا- الجيوش- البحر الأسود- القوة- الأوربية- البلقان-

حقوق النشر : مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*مدرس - قسم التاريخ اختصاص تاريخ حديث ومعاصر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين- سورية

مقدمة:

بدأت حرب شبه جزيرة القرم سنة 1854م، وذلك عندما شعرت روسيا القيصرية بازدياد قوتها ورغبتها في اكتساح الحدود العثمانية، خاصةً وأنَّ معظم الدول الأوربية في ذلك الحين كان يدرك مدى الضعف الكبير الذي بلغته الدولة العثمانية سياسياً وعسكرياً وكذلك رغبت روسيا بأن تسبق الدول الأوربية في الاستفادة من هذا الضعف بضم المناطق المحاذية لحدودها مع العثمانيين لسيطرتها، وعلى الرغم من الذرائع المختلفة لروسيا لشن تلك الحرب إلَّا أنَّ ذلك كان مرفوضاً بشكل قاطع عند بريطانيا وفرنسا اللذين خشيا من تنامي القوة الروسية ورغبا باستمرار وضع الدولة العثمانية على ما هو عليه للاستمرار في تحقيق مصالحهم وامتيازاتهم المحمية حسب اتفاقاتهم مع العثمانيين، ويمكن القول أنَّ تعدد الجهات التي شاركت في حرب القرم وتعدد وتضارب مصالحها جعلها من الحروب المهمة والإشكالية في التاريخين الأوربي والعثماني.

يطرح البحث عدَّة تساؤلات، ويحاول الإجابة عن أهمَّها:

1–ماهي الأسباب الجوهرية لحرب القرم؟

2–لماذا شنت روسيا هذه الحرب دون تفاهم مع القوى الأوربية رغم معرفتها بأنَّها ستساند العثمانيين؟

3–ما السياسة التي اتبعها العثمانيون لإدارة تلك الحرب؟

4–لماذا عرضت فرنسا وبريطانيا جيوشها للخطر في هذه الحرب رغم إمكانية التفاهم مع الروس بشكل يرعى مصاح الجميع في الدولة العثمانية؟

5–ما أثر تلك الحرب على وضع الدولة العثمانية، وعلى روسيا في ذلك الحين؟

6–ما أثر تلك الحرب على التاريخ السياسي والعسكري للأوربيين والعثمانيين؟

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في كونه أحد القضايا المهمة والإشكالية في كل من التاريخين الأوربي والعثماني على حدٍ سواء، سيما أنَّ مشاركة مخلف الدول الأوربية بها تعطينا صورة مهمة جداً عند الأوضاع السياسة العالمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والتي تضاربت المصالح السياسية للدول القوية فيها آنذاك، وتبين رغبة تلك الدول في التهام أراضي الرجل المريض الدولة العثمانية، إلَّا أن تلك الدولة اختلفت على الوقت والصيغة التي أرادت أن تنهي الدولة العثمانية فيها، وهي الأخيرة كانت قد وصلت لمرحلة من الضعف لا تستطيع معها أن تدافع عن أراضيها كما كانت من قبل دون مساعدة خارجية من دول أوربية، لكنَّ هذا كان يكلفها الكثير من التنازلات ويجعلها عرضةً للتآمر على مصالحها، ولذلك وجدنا من الضرورة أن نسلط الضوء على تلك الحرب لما لها من أهمية كبيرة في التاريخ العثماني.

منهجية البحث:

تمّ الاعتماد في هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المعلومات من المصادر والمراجع المختلفة ودراستها وتحليلها ونقدها، وطرحها للقارئ بشيء من المنهج الوصفي مع تقديم بعض التحليلات التي تبرر دوافع الأحداث التاريخية وكيفية تطورها، ووصولها إلى وتيرة معينة، لنوصل للقارئ صورة وافية وواضحة لكافة تطورات حرب القرم مروراً بأسبابها ونتائجها.

المناقشة:

أولاً: دوافع الحرب:

تباينت أسباب حرب القرم وتداخلت مع بعضها بشكل كبير، فلا نستطيع القول أنَّها كانت ذات عوامل سياسية بحتة، إذ تظافرت أسباب دينية وأخرى اقتصادية وشخصية، فضلاً عن العامل السياسي لهذه الحرب، حيث كانت شبه جزيرة القرم تحت حكم الدولة العثمانية باستثناء الأجزاء اليونانية منها التي استقلت عن الدولة العثمانية في الفترة الأخيرة إبان الثورات اليونانية المتكررة في وجه الدولة العثمانية، ويجب التنويه إلى أنَّ منطقة البلقان بشكل عام كانت ذات تنوع عرقي وديني كبير، وأنَّ الدولة العثمانية لم تتبع أسلوب فرض السيطرة العسكرية المباشر في البلقان كما في المناطق الأخرى من دولتها، فاتبعت الدولة العثمانية في تلك المناطق سياسة اعتمدت على وجود حاميات عثمانية صورية، وجبي ضرائب تلك المناطق والاكتفاء بالولاء والتبعية لها، وعلى الرغم من هذا الأمر لم تتوقف الثورات المنتفضة بوجه العثمانيين في تلك المناطق، سيما أنَّ الدولة العثمانية في كانت آخذة في الضعف خلال القرن التاسع عشر، كما أنَّ جيشها لم يعد كسابق عهده صاحب القوة الأكبر على الساحة الدولية، وهذا مع التطورات العسكرية الحديثة للجيوش الأوربية، كما أنَّ قرب المناطق البلقانية من حدود الدول الأوربية والاحتكاك الوثيق بها جعل هذه المناطق تتأثر بحركة القوميات الأوربية التي بلغت أوجها في القرن التاسع عشر، فزادت رغبتها في الانفصال عن جسد الدولة العثمانية، كما جاء العامل الديني ليزيد من تعقيد الأمور فبالرغم من وجود العديد من المسلمين في تلك المناطق، إلَّا أن النسبة الأكبر من السكان كانت تدين بالمسيحية الأرثوذكسية والتي كان القيصر الروسي هو الراعي الأول للكنيسة الأرثوذكسية، وهذا ما دفع القيصر نيقولا الأول لاستغلال رغبة سكان البلقان بالاستقلال عن الدولة العثمانية، إضافةً لضعفها آنذاك([1])، فبدأ أولى تحركاته ضدَّ العثمانيين بدعم ثورة سكان الجبل الأسود ولكنَّ الدولة العثمانية تمكَّنت من القضاء على تلك الثورة قبل تفاقم أمورها، وبالطبع لم تكن الدول الأوربية عدا الروس ترغب بتوتر الأوضاع في البلقان لأنَّ ذلك سيضر مصالحها مع الدولة العثمانية بشكل كبير ويهدد حدودها، ولذلك نجد هنا أن النمسا سارعت للتدخل لتسوية الأمر مع العثمانيين بشكل يضمن سلامة حدودها مع البلقان([2])، فهي لا ترغب بوجود دولة قوية تهدد حدودها في البلقان وكان الوجود العثماني بضعفه في ذلك الحين لا يشكل تهديداً كبيراً بالنسبة لها، وكان للخوف النمساوي من السياسة الروسية ما يبرره فقد استغل الروس ما ورد من بنود في معاهدة كوتشك قينارجي سنة1774م، لتحقيق المصالح السياسية في البلقان، ومما ورد فيها: إعطاء الحق لروسيا ببناء كنيسة أرثوذكسية في غلطة تحت رعايتها، والسماح للسفراء الروس بتمثيل تلك الكنيسة أمام الدولة العثمانية، ولكنَّ السياسة الروسية ذهبت أبعد من ذلك عندما أعلنت أنَّ لها الحق بتمثيل كافة المسيحيين في البلقان وحمايتهم وما يترتب على ذلك من شرعية تدخلها المباشر في شؤون البلقان الداخلية، إلَّا أنَّ الدولة العثمانية رفضت أن تعترف للروس بهذا الحق([3]).

من ناحية أخرى كانت روسيا في عهد القيصر نيقولا الأول ترغب بشدَّة في التوسع على حساب الدولة العثمانية في البلقان وكذلك تبتغي أن تكمل زحفها تجاه اسطنبول حتَّى تصل إلى البحر المتوسط، أضف إلى ذلك أنَّها كانت تخشى

---

[1] نوار ، عبد العزيز سليمان– نعنعي، عبد المجيد، أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2014، ص230–233.

[2] المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م، ص491.

[3] تمبرلي، هارولد، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة: محمد علي أبو درة، منشورات مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967م، ص415–417.

من تنامي القوة الفرنسية في الشرق، كل ذلك دفع القيصر نيقولا الأول سنة 1853م، إلى مناقشة البريطانيين بضرورة اقتسام أملاك الرجل المريض (الدولة العثمانية) وذلك لأنَّها على حافة الانهيار، ولابد من إجراء ترتيبات مسبقة لتقاسم تركتها تجنباً لأي نزاع دول يهدد السلام في أوربا وبشكل يرعى مصلحة الجانبين الروسي والبريطاني بشكل كبير وقدم مشروع فعلي لذلك ينص على:

1–استقلال دول البلقان والأفلاق والبغدان والصرب وبلغاريا تحت الحماية القيصرية الروسية.

2–احتلال روسيا لاسطنبول بشكل مؤقت دون ضمها لها.

3–تواجد قوات روسية على البسفور، ووجود قوات نمساوية على الدردنيل.

4–احتلال بريطانيا لمصر وقبرص ورودس وكريت في حال رغبت بذلك([4]).

لم تستجيب بريطانيا للمشروع الروسي، لأنَّها في ذلك الحين لم تكن ترغب بإنهاء الدولة العثمانية كي لا تتعرض مصالحها في الشرق للخطر، ومن ناحية أخرى فهي كانت تسعى للحيلولة دون تنامي القوة الروسية وإبقاء الوضع السياسي في أوربا على ما هو عليه، فضلاً عن أنَّها لم تكن تثق بالتحاف مع الروس بعد أن علمت بالاتصالات التي جرت بين القيصر الروسي والفرنسيين يعرض عليهم الاستيلاء على تونس وعلى جزيرة كريت([5]).

لابد من الإشارة إلى التسابق التفاسي المحموم من الناحية الدينية بين الفرنسيين والروس حول الحقوق الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية في أراضي الدولة العثمانية، ونلمس هذا بشكل كبير في طلب الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث سنة 1852م من السلطان العثماني باستعادة الامتيازات الفرنسية القديمة للفرنسيين في الأماكن المقدسة، وباستجابة السلطان العثماني لهذا الأمر أصبح وضع الرهبان الكثوليك أفضل من نظرائهم الأرثوذكس بالأماكن المقدسة، وهذا ما أوغر صدر القيصر الروسي من السياسة الفرنسية ودفعه إلى الضغط على الباب العالي من أجل إصدار قوانين وثق حقوق الأرثوذكس في المحاكم المدنية العثمانية بالأماكن المقدسة، مع تعمد تجاهل المطالب الكاثوليكية بهذا الأمر، وهذا ما ساهم في إزعاج الفرنسيين، لدرجة وضول الأمر إلى صدامات بين الكنيستين في القدس([6]).

من ناحية اقتصادية كانت روسيا تجد في بث سيطرتها على البلقان تحقيق فوائد اقتصادية كبيرة، فهي بذلك تسطيع تصدير منتجاتها وخاضة الزراعية عبر البحر المتوسط وكذلك تستفيد من الغنى الاقتصادي لتلك المناطق وخاصةً الأفلاق والبغدان لصالح تطوير اقتصادها ودعمه، كما أنَّ تحول التجار الإنجليز للحصول على بضاعتهم من القمح تحديداً من الدولة العثمانية بدلاً من روسيا كان إحدى العوامل الاقتصادية الهامة في ذلك([7]).

يركز عدد من المؤرخين على الدور المبير الذي لعبه السفير الإنجليزي في اسطنبول اللورد ستراتفورد دي رد كيلف، في إشعال هذه الحرب سيما أنَّ الأخير كان ينتهج سياسية عدائية ضدَّ روسيا ويرى ضرورة الوقوف في وجه قوتها

---

[4] فيشر، هربرت، أصول التاريخ الأوربي الحديث، ترجمة: زينب عصمت راشد، دار المعارف، مصر، 1965م، ص224–225.

[5] أوزوتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل، اسطنبول، 1990م، ج2، ص ٥٢–٥٥.

[6] المحامي، محمد فريد بك، مصدر سابق، ص494.

[7] صفوت، محمد مصطفى، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، معهد الدراسات العالية، القاهرة، 1958م، ص27–29.

المتنامية، كما ساهم في تأجيج الموقف العثماني تجاه روسيا عن طريق الدعم البريطاني للعثمانيين في حال وقوع الحرب([8]).

ثانياً: أحداث الحرب:

رأت روسيا القيصرية أن تقوم بخطوة دبلوماسية قبل أن تعلن الحرب على الدولة العثمانية علَّها تستطيع أن تحقق قدراً كبيراً من المكاسب يعزز نفوذها، ويقلل من نفوذ منافسيها من الفرنسيين والبريطانيين على حدٍ سواء، فأرسلت بعثة دبلوماسية إلى السلطان العثمانية بقيادة منتشيكوف قائد الأسطول الروسي في بجر البلطيق سنة 1853م تحت مسمَّى حل مشكلتي الجبل الأسود ووضع الأرثوذكس في الأراضي المقدسة، ولكن في حقيقة الأمر كانت أهداف البعثة تتطلع إلى تحقيق العديد من المكاسب منها:

1- التأكيد على حقوق وامتياز الرعايا الأرثوذكس ضمن أراضي الدولة العثمانية.

2- اعتراف الباب العالي بأن القيصر الروسي هو الحامي الأول لهؤلاء.

3- إصدار فرمان عثماني بإعادة الأوضاع في الأراضي المقدسة إلى ما كانت عليه قبل عام 1852م.

4- عقد تحالف غير معلن بين الروس والعثمانيين يقتضي أن تدافع روسيا عن الدولة العثمانية في حال اعتراض الفرنسيين على القرارات السابقة([9]).

رفضت الدولة العثمانية المطالب الروسية وذلك بعد سلسلة من اللقاءات الدبلوماسية وشيء من المماطلة، ابتغت الدولة العثمانية من خلالها أن تعرف رأي حلفائها من البريطانيين والفرنسيين بتلك المطالب، والذين بالتأكيد سيرفضونها رفضاً قاطعاً، وبالتالي ردت الدولة العثمانية على تلك البعثة بالرفض مما أدَّى إلى مغادرة منشيكوف لإسطنبول بتاريخ 21 أيار 1853م، وقامت روسيا على إثر ذلك بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة العثمانية، وبما أنَّ الجميع كان يخشى التصعيد العسكري الروسي قامت بريطانيا بإرسال أسطولها الحربي إلى مالطا بينما أرسلت فرنسا أسطولها إلى سلامين في اليونان تحسباً لأي طارئ روسي مباغت([10]).

اعتبرت القيصر الروسي كل ما سبق تهديد مباشر لروسيا وسرعان ما عبر الجيش الروسي نهر بروت واحتلَّ مقاطعتي الأفلاق والبغدان، وسيطر على مدينة بخارست، مما دفع السلطان العثماني إلى توجيه إنذار مباشر للقيصر الروسي يطلب منه الانسحاب من تلك الأراضي العثمانية، وعلى الفور قام الحليفان الفرنسي والبريطاني بإرسال أسطوليهما إلى مياه البحر الأسود قرب الدردنيل، وكان من الطبيعي أن يقوم الفرنسيون بذلك سيما أنَّهم رأوا بالأعمال الروسية تهديداً دينياً واضحاً وصريحاً لنفوذ الكنيسة الكاثوليكية في الشرق، كما أنَّ الفرنسيين كانوا قد أرادوا أن يخرجوا من العزلة المفروضة عليهم منذ مؤتمر فيينا سنة 1815م، وربما ابتغوا من هذا العمل أن يستعيدوا أمجادهم العسكرية السابقة منذ أيام نابليون بونابرت، وبالنسبة للبريطانيين فقد اقتضت سياستهم على المحافظة على وجود الدولة العثمانية رغم وضعها المتردي سياسياً وعسكرياً لأنَّ بريطانيا كانت تستفيد من هذا الأمر إلى حدٍ كبير بتسيير مصالحها في الشرق وبالامتيازات الكبيرة الممنوحة لها في الأراضي العثمانية، كما أنَّها لا تريد أن تتغير الخارطة السياسية للقارة الأوربية، وكانت تنظر بعين الريبة لتضخم القوة الروسية في أوربا، في حين اتبعت بروسيا سياسة الحياد في هذه الحرب، أمَّا

[8] **تمبرلي، هارولد، مرجع سابق، ص418.**

[9] **أوزوتونا، يلماز، مرجع سابق، ص ٥٤- ٥٦.**

[10] **صفوت، محمد مصطفى، مرجع سابق، ص30.**

النمسا فقد كانت قلقة لقرب المقاطعات التي احتلتها روسيا من أراضيها، ولهذا سارعت إلى عقد مؤتمر دولي في فيينا سنة 1853م، ولكنَّ هذا المؤتمر لم يحقق أيَّة نتائج تذكر لأنَّ الدولة العثمانية وكذلك روسيا القيصرية رفضتا حضوره، بل وقام القيصر الروسي في 23 تشرين الأول سنة 1853م بإعلان الحرب على الدولة العثمانية، وهنا تحرك الجيش العثماني على اتجاهين، الأول عبر نهر الدانوب واصطدم مع الجيش الروسي عند أولتانيجه وتمكَّن من الانتصار عليه، والثاني عبر الحدود الروسية تجاه القوقاز([11])، واستولى على قلعة سان نيقولا بينما شنَّ الأسطول الروسي هجمات قوية على قطع الأسطول العثماني الذي كان راسياً على ميناء ستيوب على البحر الأسود، ودمره بالكامل، وفرد الحلفاء بقصف الموانئ الروسية على البحر الأسود، وقامت روسيا على إثر ذلك بسحب سفرائها من لندن وباريس، في حين تمكَّن الجيش الروسي من عبور الدانوب والانتصار على العثمانيين عند سيلستررية، ولكنَّه لم يتمكَّن من الاستيلاء على تلك المدينة بسبب الدفاعات العثمانية المحكمة عنها من ناحية ونتيجة تفشي داء الكوليرا في صفوف الجيش الروسي في ذلك الحين([12]).

قررت النمسا أن تدخل الحرب لصالح الحلفاء بعد أن أيقنت أن الانتصار الروسي سيشكل خطراً كبيراً عليها، لأنَّها فضلت وجود دولة ضعيفة كالدولة العثمانية على حدودها، ورأت أنَّ الوجود الروسي على تلك الحدود سيهدد أراضيها، وجسدت النمسا هذا الأمر بشكل فعلي عندما وجهت إنذاراً للروس بإخلاء مقاطعتي الأفلاق والبغدان مباشرةً، وهنا ساء الوضع العسكري للروس ورأوا أنَّهم لن يستطيعوا مواجهة جميع تلك القوى بمفردهم، فانسحبت من المناطق التي احتلتها وقامت النمسا على إثر ذلك باحتلال الأفلاق والبغدان ووعدت الحلفاء بالدفاع عنهما ضدَّ الهجمات الروسية([13]).

في الحقيقة لم يعد بإمكان البريطانيين أو الفرنسيين أن يتراجعوا عن إكمال الحرب بعد أن قرروا ألَّا ينهوها حتَّى يوجهوا ضربات قوية تعيق البحرية الروسية وتحطم قوتها، هذا ما دفعهم لفتح جبهة القرم عبر مهاجمتهم للميناء الروسي في سباستبول، والذي كان يضم أهم قاعدة عسكرية للبحرية الروسية، ولم الرغم من أنَّ مرض الكوليرا كان يفتك بجنود كلا الجيشين الفرنسي والبريطاني إلَّا أنهم أصروا على مواصلة الحرب وضرب القوة الروسية، وبالفعل توجهت الأساطيل الفرنسية البريطانية إلى ذلك الميناء ورست شماله في منطقة أوباتوريا إلى الشمال منها، واصطدموا بالجيش الروسي عند نهر ألما لكنَّهم تمكنوا من الانتصار عليه وبات طريقهم مفتوحاً إلى سباستبول، ولكنَّهم لم يتمكنوا من اقتحام المدينة لأنَّ المدينة كانت في غاية الحصانة، إضافةً إلى أن الحصار لم يكن مطبقاً، فاستطاع الروس أن يمدوا المقاتلين بالدعم الغذائي والعسكري طوال فترة الحصار التي امتدت من 1854م حتَّى 1855م عندما استطاع الحلفاء اقتحامها، ولكن بعد أن تدمرت بالكامل([14]).

سارعت النمسا في هذا الوقت الحرج من الحرب إلى السعي لوساطة دبلوماسية بين الأطراف لأنَّها كانت تعلم مدى سوء الوضع الروسي في الوقت الحالي ومن الممكن أن توافق روسيا القيصرية على هذه المساعي بعد الهزيمة التي منت بها، وقدمت النمسا مذكرة تضمنت التالي:

1- تبديل الحماية الروسية على الأفلاق والبغدان والصرب عبر ضمانات أوربية، بموافقة الدولة العثمانية.

---

[11] فيشر، هربرت، مرجع سابق، ص427.

[12] كولز، بول، العثمانيون في أوربا، ترجمة: عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م، ص220-221.

[13] بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: فارس البعلبكي، بيروت، ط11، 1988م، ص558-560.

[14] جمال الدّين، محمود – نوّار، عبد العزيز سليمان، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتّى نهاية الحرب العالمية الأولى ، دار الفكر العربي ،مصر،1999م ، ص248.

2- تخلي روسيا عن حقوقها في رعاية المسيحيين في البلقان بشكل منفرد.

3-حرية الملاحة الدولية في نهر الدانوب.

4-إعادة الرؤية حول اتفاق المضائق المعقود سنة 1841م لصالح التوازن الدولي([15]).

لم يبدِ الروس أي تجاوب لهذه المذكرة ، بل ورفضوها رفضاً قاطعاً لأنَّهم رأوا فيها إذلال للقوة الروسية ورغم كبيرة في تحجيم القوة الروسية وحرمانها من الامتيازات الخاصة بالمضائق والتي كانت قد حصلت عليها سابقاً من الدولة العثمانية، بينما وافق الباب العالي على هذا العرض ورحب به وذلك بعد نصيحة البريطانيين بقبوله، وعلى الرغم من الرفض الروسي إلَّا أنَّ الحلفاء أصروا على المضي قدماً فيها ووقعوا عليها، ونلاحظ هنا أنَّ كل هم النمسا كان محصوراً بإبعاد الخطر الروسي عن ولايتي الأفلاق والبغدان، بل ولم تكن ترغب بأي عمل عدائي ضدَّ الروس سوى المحافظة على حدودها ولذلك سعت لضمان مصالحها بشكل سلمي، وعلى الرغم من أنَّها كانت ضمن الحلف الأوربي ضدَّ روسيا، ولكنَّ مشاركتها فيه كانت بشكل صوري ليس إلَّا([16]).

رغم حدوث تغيرات كبيرة على الساحة السياسية في أوربا عامةً وروسيا خاصة إلَّا أنَّ الحرب بقيت مشتعلة، حيث انضمت سردينا إلى التحالف الأوربي، وذلك طمعاً بمساعدتهم لها في تحقيق وحدتهم الوطنية، وذلك في خضم سعي كافور رئيس وزراء بيدمونت إلى تحقيق الوحدة الإيطالية، عسكرياً بتاريخ 26 كانون الثاني 1855م، وكذلك توفي القيصر الروسي نيقولا الأول في آذار من سنة 1855م، وخلفه على العرش القيصر اسكندر الثاني، وتقدم الجيش الروسي تجاه آسيا الصغرى واستولى على قلعة قارص، وبعد كل هذه التطورات قررت النمسا أن تدخل الحرب عسكرياً لأنَّها باتت تخشى على مصالحها بعد أن رأت قرب انتهاء الحرب، وكذلك خوفها من مساعدة الحلفاء لسردينا في تحقيق الوحدة وكذلك كانت في ريبة من حدوث تقارب روسي فرنسي قد يؤثر على مصالحها، وتلتها السويد أيضاً في الانضمام للحرب إلى جانب الحلفاء([17]).

بالنسبة للفرنسيين والبريطانيين فقد وقعوا في خلاف سياسي نتيجة تضارب المصالح سيما أنَّ فرنسا أرادت إنهاء الحرب، بعد أن حققت أهدافها السياسية منها ورأت أنَّ سقوط مدينة سباستبول يجب أن ينهي الحرب ويفتح باب التفاوض مع الروس، بينما رأى البريطانيون أن يستمر إنهاك روسيا قدر المستطاع من أجل تمير قوتها بشكل كامل، فقامت النمسا في بداية 1856م بتوجيه إنذار شديد اللهجة لروسيا تدعوها إلى قبول المفاوضات حسب مذكرة البنود الأربعة التي وضعتها النمسا مسبقاً، ولم تجد روسيا القيصرية بداً من قبول الأمر الواقع والتفاوض([18]).

تمَّ الاتفاق على عقد مؤتمر دولي في باريس من أجل حل مشكلة حرب القرم وإرضاء جميع الأطراف، وُعقد في 25 شباط سنة 1856م، وقرر المؤتمر ما يلي:

1-تكون الدولة العثمانية صاحبة السيادة فيما يخص المضائق البحرية.

2-أن يكون البحر الأسود منطقة منزوعة السلاح، ويتم تحييده في الصراعات العسكرية، ولا يحق للروس بناء أي منشآت عسكرية على موانئ ذلك البحر.

3-يمنع منعاً باتاً عبور السفن الحربية في البحر الأسود.

---

[15] **جمال الدّين، محمود – نوّار، عبد العزيز سليمان، مرجع سابق، ص 249.**

[16] **بروكلمان، كارل، مرجع سابق، ص561.**

[17] **كولز، بول، مرجع سابق، ص223.**

[18] **صفوت، محمد مصطفى، مرجع سابق، ص31.**

4–عدم تدخل أي دولة أجنبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية أو بين السلطان العثماني ورعاياه شريطة قطعه وعداً بتحقيق المساواة بينهم.

5–يتم تعديل الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا في بيساربيا .

6–جميع الأراضي التي يتخلى عنها الروس في الأفلاق تلحق بالدولة العثمانية وتكون تحت سيادتها.

7–تشكيل لجنة دولية لضمان حرية الملاحة بنهر الدانوب.

8–ضمان الحكم الذاتي للأفلاق والبغدان والصرب تحت إشراف العثمانيين([19]).

ويمكن القول أنَّ هذه المعاهدة كانت قد حققت مكاسب كبيرة للسياسة الفرنسية والبريطانية والتي شملت المحافظة على وجود الدولة العثمانية، وبنفس الوقت أضعفت هذه المعاهدة النفوذ الروسي وحجمته إلى حدٍ كبير.

ثالثاً: تداعيات الحرب:

يمكننا القول أنَّ الدولة العثمانية قد انتصرت في هذه الحرب في ضاهر الأمر إلَّا أنَّها في الحقيقة كانت قد زادت من ضعفها وبينته أكثر فأكثر، وكذلك زاد تدخل الدول الأوربية التي ساندتها في هذه الحرب بشؤونها الداخلية، كما أنَّ هذه الحرب فتحت أذهان الشعوب التي كانت خاضعة للعثمانيين على فكرة القوميات والتي أخذت تظهر بشكل كبير، في وقت كانت فيه الدولة العثمانية منهمكة بحركة الإصلاح الداخلي ولم تكن بصدد التمكن من مواجهة هذه الحركات الانفصالية التي بدأت تستعين بالدول الأوربية لتحقيق استقلالها([20]).

عقدت الدول الأوربية بما فيها بريطانيا وفرنسا والنمسا اجتماعاً في 15 نيسان 1856م، وقررت فيه احترام استقلال الدولة العثمانية، والحفاظ على أراضيها وذلك تأكيداً لمقررات مؤتمر باريس 1856م، كما أكَّدت أن الإخلال بالبنود السابقة سيكون سبباً مباشراً لقيام الحرب، وعلى تلك الدول أن تتفق مع الباب العالي على إيجاد صيغة تلزم الدول الأخرى بتلك البنود([21]).

كل الأمور السابقة لم تجد نفعاً ويمكن القول أن الحفاظ على استقلال الدولة العثمانية وسلامة أراضيها كان مجرد شعار صوري تطلقه الدول الأوربية التي أخذت تقتطع ما تشاء من أراضي الرجل المريض (الدولة العثمانية)، وبالنسبة للأفلاق والبغدان ففي بداية الأمر انتقلت الحماية عليهما من الدولة العثمانية إلى الدول الأوربية، ومن ثمَّ شكَّلت المقاطعتان حكومة شبه مستقلة أخذت تدير شؤونهما، وعينوا أميراً عليهم كنواة لتشكيل ما يعرف حالياً بدولة رومانيا([22]).

تلا ذلك نشاط الحركات القومية بدعم الدول الأوربية في كل من الصرب والجبل الأسود والبوسنة والهرسك، ونجح الأمير الصربي ميلوش أوبرينوفيتش بإعلان الحكم الوراثي في الصرب سنة 1859م، كما نجح خليفته بطرد الحاميات العثمانية من الصرب وأصبحت إمارة الصرب منذ ذلك الحين دولة أوربية شبه مستقلة، كما تمكَّنت إمارة الجبل الأسود من الانفصال عن الدولة العثمانية وذلك نتيجة موقعها الحصين إضافة لدعم الدول الأوربية لها وفشلت المحاولات

---

[19] طقوش، محمد سهيل، تاريخ العثمانيين، من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت، ط2، 2013م، ص385.

[20] جمال الدّين، محمود– نوّار، عبد العزيز سليمان، مرجع سابق، ص 250–251.

[21] طقوش، محمد سهيل، مرجع سابق، ص387.

[22] نوار ، عبد العزيز سليمان– نعنعي، عبد المجيد، مرجع سابق، ص235.

العثمانية المتكررة في إخضاعها، من ناحية أخرى نجد أنَّ هزيمة الروس في حرب القرم أضعفت قوتهم إلى حدٍّ كبير وفرضت عليهم حصاراً ، حقق مكاسب فرنسا وبريطانيا لدرجة كبيرة([23]).

إنَّ الأثر الأكبر لحرب القرم على الدولة العثمانية تجسَّد بسعيها قدماً إلى المضي في مسيرة الإصلاحات والتي كانت قد بدأت بها منذ عام 1839م، وذلك حتَّى ترضي الأطراف الأوربية وتتلافى الأخطاء النتي يمكن أن توقعها بمثل تلك المآزق، ولذلك نجدها قد أصدرت في شباط 1856م الخط الهمايوني أو ما يسمى بالإصلاحات الخيرية([24])، وهذا الأمر كان قد فرض نفسه على العثمانيين فرضاً بضغط فرنسي بريطاني يطالب بتحسين أوضاع المسيحيين في الأراضي العثماني وذلك لمنع التدخل الروسي في الشؤون العثمانية عبر المنافذ الدينية، وكذلك رأى الساسة العثمانيين بعد هذه الحرب مدى ضعف أجهزة الدولة العثمانية ورغبوا أن يقتفوا الأثر الأوربي في تطوير الدولة، ومن أهم ما جاء في الخط الهمايوني أنَّه عزز الإصلاحات التي سبقته لكنَّه أضاف عليها بعض الأمور مثل الاممتيازات والحصانات الكبيرة للرعايا الدولة غير المسلمين، ومنح رجال الدين من تلك الطوائف صلاحيات وامتيازات كبيرة، فضلاً عن التأكيد على المساواة بينهم وبين الرعايا المسلمين، وأكد حق تلك الطوائف بانتخاب رؤسائها، وإنشاء محاكم مختلطة تنظر بقضايا النزاعات بين المسلمين وغيرهم من الطوائف، كما أنَّه أخرج المصالح المدنية لرعاية الطوائف غير الإسلامية من يد رجال الدين وشكَّل لهم مجالس مدنية تنظر بالأحوال المدنية والشخصية غير الدينية([25])، كما كفل لهم حريتهن الدينية، بما في ذلك ممارسة طقوسهم الدينة بكل أريحية وحقهم في التعلم وبناء الكنائس والمدارس وغيرها من الأمور مع بعض الشروط الرقابية عليها إضافة لموافقة السلطان العثماني على موضوع بناء الكنائس، وسمح للأجانب حسب هذا الخط بامتلاك العقارات في الأراضي العثمانية، ونص الخط على إنشاء مجالس في الولايات وغيرها من الأمور التي تصب بتنظيم شؤون الدولة([26]).

إذا تتبعنا الأحداث السياسة التي تبعت الخط الهمايوني نجد أنَّه تمَّ استغلال هذا الخط من الدول الأوربية التي جعلته ذريعة تزيد من تدخلها بشؤون الدولة العثمانية الداخلية عبر ذريعة حقوق الأقليات أور الرعايا غير المسلمين والذين قاموا شعروا بدورهم أنَّ هذا المرسوم يعبر عن ضعف صريح وواضح للدولة العثمانية وأن بإمكانهم أن يضغطوا عليها باستمرار ومتى شاءوا لتحقيق المزيد من الامتيازات اعتماداً على حلفائهم الأوربيين وهذا ما أثبتته الأحداث التي شهدتها بلاد الشام وتحديدا جبل لبنان بعد فترة من هذا المرسوم حتَّى اضطرت الدولة العثمانية مرغمة على لأن تقبل بحكم المتصرفية هناك رغم تعارضه مع السياسة العثمانية، وتلا ذلك الكثير من الاجراءات التي اقتبست من النظم الأوربية ولكنَّها كانت تفسر وتسيس من قيل الأوربيين حسب مصلحتهم مما زاد في تدهور الدولة العثمانية وضعفها السياسي وتفكك تركيبها الاجتماعي، ومن أهم تلك النظم قانون الأراضي 1858م، وقانون الولايات 1864م، وقانون التجارة والجنايات بين 1860-1863م([27]).

---

[23] **بروكلمان، كارل، مرجع سابق، ص563.**

[24] **عمر، عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (1516-1922م)، دار النهضة العربية، بيروت،1984م، ص274.**

[25] **ياغي، اسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض،ط1، 1997م، ص180-182.**

[26] **عمر، عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص275.**

[27] **طربين، أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1986م، ص232-236.**

الاستنتاجات والتوصيات:

1–نشبت حرب القرم لأسباب عميقة متنوعة تخص الدولة العثمانية وروسيا أولاً ومن ثمَّ مختلف الدول الأوربية ثانياً.

2–كشفت الحرب مدى الضعف الكبير الذي وصلت له الدولة العثمانية.

3–بينت الحرب مدى الرغبة الكبيرة لدى الفرنسيين والبريطانيين باستمرار وجود الدولة العثمانية على ضعفها والاستفادة من هذا الضعف.

4–أضعفت الحرب روسيا بشكل كبير وعطلت عليها الكثير من مصالحها في الدولة العثمانية، وحجمت قوتها العسكرية.

5–ازدادت مكاسب الدول الأوربية المشاركة في الحرب ضدَّ روسيا في الدولة العثمانية.

6–رغم انتصار الدولة العثمانية في هذه الحرب إلَّا أنَّها ازدادت ضعفاً بعدها نتيجة التنازلات الكبيرة التي قدمتها للدول الأوربية بعدها.

Sources And References:-

- Brockelmann, Carl, History Of The Islamic Peoples, Translated By: Fares Al-Baalbaki, Beirut, 11th Edition, 1988 AD.
- Coles, Paul, The Ottomans In Europe, Translated By: Abd Al-Rahman Abdullah Al-Sheikh, The Egyptian General Book Organization, 1993 AD.
-Fisher, Herbert, The Origins Of Modern European History, Translated By: Zainab Ismat Rashid, Dar Al-Maarif, Egypt, 1965 AD.
- Jamal Al-Din, Mahmoud-Nawwar, Abdel-Aziz Suleiman, Modern European History From The Renaissance To The End Of The First World War, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Egypt, 1999 AD.
- Lawyer, Muhammad Farid Bey, History Of The Ottoman Attic State, Investigation: Dr. Ihsan Haqi, Dar Al-Nafais, Beirut, 1st Edition, 1981 AD.
-Nawar, Abdel-Aziz Suleiman-Nana'i, Abdel-Majid, Europe From The French Revolution To The First World War, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1st Edition, 2014AD.
- Omar, Abdul Aziz Omar, History Of The Arab East (1516-1922 AD), Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1984 AD.
- Safwat, Muhammad Mustafa, Lectures On The Eastern Question And The Paris Conference, Institute Of Higher Studies, Cairo, 1958 AD.
-Temperley, Harold, Europe In The Nineteenth And Twentieth Centuries, Translated By: Muhammad Ali Abu Dora, Publications Of The Arab Record Foundation, Cairo, 1967 AD.
- Takush, Muhammad Suhail, History Of The Ottomans, From The Establishment Of The State To The Coup Against The Caliphate, Dar Al-Nafais, Beirut, 2nd Edition, 2013 AD.
- Tarbin, Ahmed, History Of The Contemporary Arab East, Damascus University Publications, Syria, 1986 AD.
- Yaghi, Ismail Ahmed, The Arab World In Modern History, Obeikan Library, Riyadh, 1st Edition, 1997 AD.